بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين وعليه نتوكل

وسئل شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله عن الصبر الجميل والصفح الجميل والهجر الجميل وما اقسام التقوى والصبر الذي عليه الناس

فاجاب الحمد لله رب العالمين

اما بعد فان الله امر نبيه صلى الله عليه وسلم بالهجر الجميل والصفح الجميل والصبر الجميل فالهجر الجميل هجر بلا اذى والصفح الجميل صفح بلا عتاب والصبر الجميل صبر بلا شكوى قال يعقوب عليه السلام انما اشكو بثي وحزني الى الله مع قوله فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون فالشكوى الى الله لا تنافي الصبر الجميل وروى عن موسى عليه السلام انه كان يقول اللهم لك الحمد واليك المشتكى وانت المستعان وبك المستغاث وعليك التكلان ومن الدعاء النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اليك اشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس انت رب المستضعفين وانت ربي اللهم الى من تكلني الى بعيد يتجهمني ام الى عدو ملكته امري ان لم يكن بك علي غضب فلا ابالي غير ان عافيتك هي اوسع لي اعوذ بنور وجهك الذي اشرقت له الظلمات وصلح عليه امر الدنيا والاخرة ان ينزل بي سخطك او يحل علي غضبك لك العتبى حتى ترضى وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقرأ في صلاة الفجر انما اشكو بثي وحزني الى الله ويبكي حتى يسمع نشيجه من اخر الصف بخلاف الشكوى الى المخلوق وقرئ على الامام احمد في مرضه موته ان طاوسا كره انين المريض وقال انه شكوى فمات ولم يئن حتى مات وذكر ان المشتكي طالب بلسان الحال اما ان الذي مايضره او يحصول ما ينفعه والعبد ما عليه ان يسأل ربه دون خلقه كما قال تعالى فاذا

فرغت فانصب والى ربك فارغب وقال النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس اذا سالت
فاسال الله واذا استعنت فاستعن بالله ولابد للانسان من شيئين طاعة بفعل
المامور وترك المحظور وسر كه على مايصيبه من القضا المقدور فالاول للانسان
فاولها هو المقوى والثاني هو الصبر قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لاتاكلوا
بطانة من دونكم الى قوله وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور
وقال يوسف انه من يتق ويصبر فان الله لايضيع اجر المحسنين ولهذا
كان الشيخ عبد القادر ونحوه من المشايخ المستقيمين يوصون في عامة
كلامهم بهذين الاصلين المطاعة الى فعل المامور والقاعد عن فعل المحظور
والصبر والرضى بالامر المقدور وذلك ان هذا الموضع غلط فيه كثير من
العامد ومن السالكين فمنهم من يشهد القدر فقط ويشهد الحقيقة الكونية
دون الدينية فيرون ان الله خالق كل شيء وربه ومليكه ولا يفرق بين مايحبه
ويرضاه وبين مايسخطه ويبغضه وانه قدره وقضاه ولا يميز بين توحيد
الالوهية وبين توحيد الربوبية فيشهد الجمع الذي يشترك فيه جميع المخلوقات
سعيدها وشقيها شهد الجمع الذي يشترك فيه جميع المخلوقات المؤمن والكافر
والبر والفاجر والنبي الصادق والمتنبي الكاذب واهل الجنة واهل النار
والملائكة المقربين والمردة الشياطين فان هؤلاء كلهم يشتركون في
هذا الجمع وهذه الحقيقة الكونية وهو ان الله ربهم وخالقهم ومليكهم لا رب لهم
غيره ولا يشهد الفرق الذي فرق الله فيه بين اوليائه واعدائه وبين اهل الجنة
واهل النار وهو توحيد الالهية وهو عبادة الله وحده لا شريك له وطاعة
رسوله وفعل مايحبه ويرضاه وهو ما امر به رسول الله ايجابا
او استحبابا وترك ما نهى الله عنه ورسوله من اعمال اوليائه ومعاداة اعدائه

والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وجهاد الكفار والمنافقين بالقلب واليد
واللسان فمن لم يشهد هذه الحقيقة الدينية الفارقة بين هؤلاء وهؤلاء ويكون
مع اهل الحقيقة الدينية والاخوة من جنس المشركين وهو شر من اليهود والنصارى
فان المشركين يقرون بالحقيقة الكونية اذ هم يقرون بان الله رب كل شيء كما قال
ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وقال تعالى قل لمن الارض ومن فيها
ان كنتم تعلمون سيقولون لله الآيات ولهذا قال سبحانه وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم
مشركون قال بعض السلف تسالهم من خلق السموات والارض فيقولون الله ومع
هذا يعبدون غيره فمن اقر بالقضاء والقدر دون الامر والنهي الشرعيين
فهو اكفر من اليهود والنصارى فان اولئك يقرون بالملائكة والرسل الذين جاءوا
بالامر والنهي لكن امنوا ببعض وكفروا ببعض كما قال تعالى ان الذين يكفرون بالله ورسله
الى قوله اولئك هم الكافرون حقا واما الذي يشهد الحقيقة الكونية وتوحيد الربوبية
الشامل للخليقة وان العباد كلهم تحت القضاء والقدر ويسلك هذه الحقيقة فلا يفرق بين
المؤمنين وبين الفجار الكافرين فهؤلاء اكفر من اليهود والنصارى لكن من الناس من
قد يحقق الفرق في بعض الامور دون بعض بحيث يفرق بين المؤمن والكافر ولا يفرق
بين البر والفاجر او يفرق بين بعض الابرار وبين بعض الفجار ولا يفرق في اخرين
اتباعا لظنه وما تهواه فيكون ناقص الايمان بحسب ما سوى بين الابرار والفجار
ويكون معه من الايمان بدين الله الفارق بحسب ما يفرق بين اولياء واعدائه
ومن اقر بالامر والنهي الدينيين دون القضاء والقدر كان من القدرية كالمعتزلة
ونحوهم الذين هم مجوس هذه الامة فهؤلاء يشبهون المجوس واولئك يشبهون
المشركين الذين هم شر من المجوس ومن اقر بهما وجعل الرب متناقضا فهو من
اتباع ابليس الذي اعترض على الرب سبحانه وخاصمه كما تقدم ذكر عنه فهذا
المتضمن من القول والاعتقاد وكذلك هم في الاحوال والافعال فالصواب منها حال

والقدر

حالة المؤمن الذي ينبغي ان يفعل المامور ويترك المحظور ويصبر على ما يصيبه من المقدور
فهو عند الامر والنهي والدين والشريعة ويستعين الله على ذلك كما قال تعالى اياك نعبد واياك
نستعين واذا اذنب استغفر وتاب ولا يحتج بالقدر بل يؤمن بالقدر ويتوب من ما يفعله من السيئات ولا
يرى لمخلوق على رب الكاينات بل يؤمن بالقدر ولا يحتج به كما في الحديث الصحيح السيد الاستغفار
ان يقول العبد اللهم انت ربي لا اله الا انت خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك
ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر ما صنعت ابوء لك بنعمتك علي وابوء بذنبي فاغفر لي
انه لا يغفر الذنوب الا انت فيقر بنعمة الله عليه في الخلق والعلم انه هو هداه ويسره لليسرى
ويقر بذنوبه من السيئات ويتوب منها كما قال بعضهم اطعتك بفضلك والمنة لك وعصيتك
بعلمك والحجة لك فاسالك بوجوب حجتك علي وانقطاع حجتي الا غفرت لي وفي الحديث
الصحيح الالهي يا عبادي انما هي اعمالكم احصيها لكم ثم اوفيكم اياها فمن وجد خيرا
فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه وهذا تحقيق مبسوط في غير هذا
الموضع **واخرون** قد يشهدون الامر فقط فتجدهم يجتهدون في
الطاعة بحسب الاستطاعة لكن ليس عندهم من مشاهدة القدر ما يوجب لهم حقيقة
الاستعانة والتوكل والصبر **واخرون** يشهدون القدر فقط فيكون عندهم من
الاستعانة والصبر والتوكل ما ليس عند اولئك لكنهم لا يقربون امر الله ورسوله واتباع
شريعته وملازمة ما جاء به الكتاب والسنة فهؤلاء يستعينون الله ولا يعبدونه
والذين من قبلهم يريدون ان يعبدوه ولا يستعينوه والمؤمن يعبده ويستعينه
والقسم الرابع شر الاقسام وهو من لا يعبده ولا يستعينه فلا هو مع الشريعة
الامرية ولا مع القدر الكوني وانقسامهم لهذه الاقسام فيما يكون قبل القدور
من التوكل والاستعانة وبعد ذلك وما يكون بعده من صبر ورضا ونحو ذلك فهم في النوع
وهي طاعة الامر الديني والصبر على ما يقدر عليه من القدر الكوني اربعة اقسام **احدها**
اهل القوى والصبر وهم الذين انعم الله عليهم اهل السعادة في الدنيا والاخرة

والثاني الذين لهم نوع من التقوى بلا صبر مثل الذين يعملون ما علیهم من
الصلوات ونحوها ويتركون المحرمات ولكن اذا اصيب احدهم في بدنه بمرض ونحوه
او ماله او في عرضه ابتلي بجزع وعظم جزعه وظهر هلعه والثالث قوم
لهم نوع من الصبر بلا تقوى مثل الفجار الذين يصبرون على الآلام في مثل
ما يطلبونه من الغصب واخذ الحرام واهل الديوان الذين يصبرون
على ذلك وطلب ما يحصل لهم من الاموال بالخيانة وغيرها وكذلك طلاب الرياسة
والعلو فانهم يصبرون في ذلك على انواع من الاذى التي لا يصبر عليها اكثر الناس
وكذلك اهل المحبة للصور المحرمة من اهل العشق وغيرهم يصبرون في ذلك على انواع
في مثل ما يهون ويتمرن من المحرمات على انواع من الاذى وهؤلاء هم الذين يريدون علوا
في الارض وفسادا من طلاب الرياسة ومن طلاب الاموال بالبغي والعدوان يصبرون
على انواع من المكروهات ولكن ليس لهم تقوى لما تركوه من المامورات وفعلوه من
المحظورات وكذلك قد يصبر الرجل على ما يصيبه من المصائب كالمرض والفقر وغير ذلك
ولا يكون فيه تقوى اذا قدر واما القسم الرابع فهم شر الاقسام لا يتقون
اذا قدروا ولا يصبرون اذا ابتلوا بل هم كما قال الله تعالى ان الانسان خلق هلوعا
اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا فهؤلاء تجدهم من اظلم الناس واجرمهم
اذا قدروا ومن اذل الناس وارجعهم اذا قهروا وان قهروا تجدهم ذلوا لكذوبا فقوكا
وصبورا ودخلوا فيما يدفعون به عن انفسهم من انواع الكذب والذل وتعظيم المسؤل
وان قهروا كانوا من اظلم الناس واقساهم قلبا واقلهم رحمة واحسانا وعفوا كما جربه
المسلمون في كل من كان عن حقائق الايمان بعد مثل التتار الذين قاتلهم المسلمون
ومن شبههم في كثير من امورهم وان كان منتظاهرا بلباس جند المسلمين وعلمائهم
وزهادهم وتجارهم وصناعهم فالاعتبار بالحقائق فان الله لا ينظر الى صوركم

ما الحاجة الى مثل هذا الكلام الذي لا يصبر عليه

والى اموالكم وانما ينظر الى قلوبكم واعمالكم فمن كان قلبه وعمله من جنس قلوب الكفار واعمالهم
كان شبيها بهم من هذا الوجه وكان ما معه من الاسلام او ما يظهره منه بمنزلة ما معهم
من الاسلام او ما يظهرونه منه بل يوجد في غير الكفار المقاتلين من المظاهرين
للاسلام من هو اعظم ردة وولى باخلاق الجاهلية وابعد عن الاخلاق الاسلامية من
الكفار وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول في خطبته خير الكلام كلام الله
وخير الهدي هدي محمد وكل من كان الى ذلك اقرب فهو به اشبه كان الى الكمال اقرب
وبه احق ومن كان عن ذلك ابعد وبه اضعف كان عن الكمال ابعد وبالباطل
احق والكامل هو من كان سراطوعا على ما يصيبه صبر فكلما كان اتبع لما امر الله به
ورسوله واعظم موافقة له فيما يحبه ويرضاه وصبر على ما قدره وقضاه كان اكمل
وكل من نقص عن هذين كان فيه من النقص بحسب ذلك وقد ذكر الله تعالى النهي
والصبر جميعا في غير موضع من كتابه وبين انه به ينتصر العبد على عدوه من الكفار المحاربين
المعاهدين والمنافقين وعلى من ظلم من المسلمين والصحابة لتكون العاقبة قال الله تعالى
بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة
مسومين وقال لتبلون في اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم
ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور
وقال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم الى قوله وان تصبروا وتتقوا
لا يضركم كيدهم شيئا وقال يوسف عليه السلام انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع
اجر المحسنين وقد قرن الصبر بالاعمال الصالحة عموما وخصوصا فقال واتبع
ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين وقال في اتباع
ما اوحي اليك اقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل وقال واصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين

وقال تعالى

وقال تعالى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها واصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد
ربك بالعشي والإبكار وقال تعالى فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس
وقبل غروبها وقال تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين
وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين **فائدة**
مواضع قرن فيها بين الصلاة والصبر وقرن بين الصبر والرحمة في قوله وتواصوا بالصبر
وتواصوا بالمرحمة وفي الرحمة الإحسان إلى الخلق بالزكاة وغيرها فاه القسم أيضا
يا عيسى من أذم الناس من يصبر ولا يرحم كأهل القوة والقسوة ومنهم من
يرحم ولا يصبر كأهل الضعف والذل مثل كثير من النساء ومن يشبههن
ومنهم من لا يصبر ولا يرحم كأهل القسوة والهلع والجزع وهو الذي
يصبر ويرحم كما قال الفقهاء في صفة المتولي ينبغي أن يكون قويا
من غير عنف ليس من غير ضعف فيصبره يقوى وبلينه يرحم وبالصبر
ينصر العبد فإن النصر مع الصبر وبالرحمة يرحم الله كما قال النبي
صلى الله عليه وسلم إنما يرحم الله من عباده الرحماء وقال من لا يرحم لا يرحم وقال لا
تنزع الرحمة إلا من شقي الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم
من في السماء والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على محمد وسلم